

وَقَدْ يُفَرَّقُ بَيْنَ لَفْظِ «التَّشْبِيهِ» وَ«التَّمْثِيلِ»^[١]، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ وَنَحْوَهُمْ مِنْ نَفَاةِ الصِّفَاتِ يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً قَدِيمَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ مُثَلٌّ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عِلْمًا قَدِيمًا أَوْ قُدْرَةً قَدِيمَةً كَانَ عِنْدَهُمْ مُشَبَّهًا مُثَلًّا؛ لِأَنَّ الْقَدِيمَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ هُوَ أَحْصَى وَصَفِ الْإِلَهِ، فَمَنْ أَثْبَتَ لَهُ صِفَةً قَدِيمَةً فَقَدْ أَثْبَتَ لِلَّهِ مَثَلًا قَدِيمًا، وَيُسَمُّونَهُ مُثَلًّا بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ^[٢].

الرحمة: يقول الأشاعرة: إثباتها تشبيه فينفونها.

ويقول أهل السنة: إثباتها ليس بتشبيه فيثبتونها.

الحاصل: هو أن الاعتماد في إثبات الصفات على مجرد نفي التشبيه لا يصح؛

لسببين:

أولاً: إن أريد بالتشبيه المطلق، فهذا غير ممكن ولا أحد يقوله.

ثانياً: وإن أريد به التشبيه من بعض الوجوه، فهذا منازع فيه؛ لأنك قد تقول:

هذا تشبيه ويقول غيرك: ليس بتشبيه، والمؤلف الآن يقرب الكلام على الصحيح.

[١] قوله: «قد يفرق» يعني: قد يفرق بين لفظ التشبيه والتمثيل، وأهل السنة

والجماعة لا يفرقون، فإذا قلت: هذه اليد ثابتة لله بدون تشبيه فهو كقولك: هذه اليد

ثابتة لله بدون تمثيل، لكن من الناس من يفرق (فقد) هنا باعتبار القلة من الفاعل لا

القلة في الوجودية؛ يعني: قد يفرق بعض الناس.

[٢] وضرب مثلاً لهذا المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات، يقولون: كل من أثبت

لله صفة قديمة فهو مثل مشبه، المراد بالقديمة ما نسميه نحن بالصفات الذاتية الملازمة

لله سبحانه وتعالى، هذه الصفات القديمة - مثل: العلم والقُدرة والعِزة والقُوَّة - كثيرة،

لكن المؤلَّفَ ضَرَبَ مَثَلًا الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ، يَقُولُونَ: من قال: إنَّ اللَّهَ عِلْمًا قَدِيمًا فهو مُثَلِّ،
وَالْقَدِيمُ عِنْدَهُمْ ما ليس له أَوَّلٌ، ليس الْقَدِيمُ عِنْدَهُمْ ما يُعْرَفُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ السَّابِقُ
لِغَيْرِهِ، لا ما ليس له ابتداءٌ هو الْقَدِيمُ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ.

فإذا قلت: إنَّ اللَّهَ عِلْمًا قَدِيمًا ليس معنى الْقَدِيمِ هو السَّابِقُ على غَيْرِهِ، تقولُ
مثلاً: عِلْمِي بهذا قديمٌ، معناه في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: أَنَّهُ سَابِقٌ، علمتَ قَبْلَ هَذَا، وليس
مَعْنَى أَنَّهُ لا ابتداءَ له وَأَنَّهُ أَزَلِيٌّ، لكنَّ الْقَدِيمَ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ خَاصَّةً ما لا ابتداءَ له؛
يعني: أَنَّهُ أَزَلِيٌّ فيَقُولُونَ: إذا قلت: إنَّ اللَّهَ عِلْمًا قَدِيمًا فقد شَبَّهْتَ؛ لَأَنَّ أَحْصَ وَصَفَ
الْإِلَهَ عِنْدَهُمْ هو الْقَدَمُ، وما معنى أَحْصَ وَصَفَ؟

أَحْصَ وَصَفَ معناه الَّذِي يَخْتَصُّ بِاللَّهِ، ولا يمكن أن يُوصَفَ به غَيْرُهُ هو
الْقَدَمُ، فإذا قلت: اللَّهُ عِلْمٌ قَدِيمٌ، فقد أثبتَّ قَدِيمِينَ أَحَدُهُما اللَّهُ والثَّانِي الْعِلْمُ، وحينئذٍ
تكون مُشَبَّهًا، وَلِذَلِكَ يَمْنَعُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ الذَّائِبَةِ.

لأنَّهم عِنْدَهُم الوَصْفُ الَّذِي لا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ هو الْقَدَمُ، فلا يمكن أن يُشَابَهَ اللَّهَ
غَيْرُهُ في ذَلِكَ، لو قلت: اللَّهُ عِلْمٌ قَدِيمٌ، قالوا: أَنْتَ مُشَبَّهٌ، لو قلت: اللَّهُ قُدْرَةٌ قَدِيمَةٌ
قالوا: أَنْتَ مُشَبَّهٌ، لو قلت: اللَّهُ حَيَاةٌ قَدِيمَةٌ، قالوا: أَنْتَ مُشَبَّهٌ، وهكذا، يعني: فَهَمُّوا
التَّشْبِيهَ على غير معناه.

وإذا أردت بالتشبيه الَّذِي نَفَيْتَهُ من وَجْهِ دُونَ وَجْهِ فَقَدْ يُنَازِعُكَ غَيْرُكَ من
النَّاسِ؛ لَأَنَّ الْقَدِيمَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ هو أَحْصَ وَصَفَ الْإِلَهَ، ومعنى أَحْصَ وَصَفَ:
هو الَّذِي لا يُمَكِّنُ أن يَشْرَكَهُ فِيهِ أَحَدٌ، فمن أثبتَّ له صِفَةً قَدِيمَةً فقد أثبتَّ لِلَّهِ مَثَلًا
قَدِيمًا وَيُسَمُّونَهُ مَثَلًا بهذا الاعتبار.

وَمُثَبِّتَةُ الصِّفَاتِ لَا يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى هَذَا بَلْ يَقُولُونَ: أَخْصُ وَصْفِهِ مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ غَيْرُهُ مِثْلُ كَوْنِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ وَالصِّفَةُ لَا تُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ^[١].

[١] ومُثَبِّتَةُ الصِّفَاتِ لَا يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى هَذَا إِطْلَاقًا، بَلْ يَقُولُونَ: أَخْصُ وَصْفٍ -يعني: ما لا يَتَّصِفُ بِهِ غَيْرُهُ مِثْلُ كَوْنِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ- هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ لَأَيِّ مَخْلُوقٍ: أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَهُوَ مِنْ أَخْصَ أَوْصَافِ اللَّهِ، لَا يُوصَفُ بِهِ غَيْرُهُ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَذَلِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا، كُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ إِلَهٌ، وَالصِّفَةُ لَا تُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

ومَعْنَى (الصِّفَةُ لَا تُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ) أَي: أَنْكَ لَا تَقُولُ: إِنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَوْصُوفَةٌ بِكَوْنِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَنَحْوِهِ، وَلِهَذَا يَحْرُمُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ: يَا قُدْرَةَ اللَّهِ هَيْئَتِي لِي كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ تَعْبِيرَ بَعْضِ النَّاسِ فِي قَوْلِهِمْ: شَاءَتِ الْمَشِئَةُ، أَوْ قَضَتِ مَشِئَةُ اللَّهِ. أَنَّ فِيهَا نَظْرًا؛ لِأَنَّ الْمَشِئَةَ وَصْفٌ لَا مَوْصُوفٌ، فَالَّذِي يَقْضِي وَيَشَاءُ هُوَ اللَّهُ، وَلَكِنَّهُمْ يُعْبَرُونَ بِهَذَا إِمَّا تَسَاهُحًا وَإِمَّا جَهْلًا.

بَعْضُهُمْ أَيْضًا يَقُولُ: تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ كَذَا وَكَذَا، اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللَّهِ، هَذَا أَهْوَنُ مِنَ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلٍ: شَاءَتْ مَشِئَةُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ هِيَ حِكْمَةٌ تَسْتَلْزِمُ كَذَا وَكَذَا؛ بِمَعْنَى الْإِلْتِزَامِ، الْمَهْمُ أَنَّ الصِّفَةَ لَيْسَتْ مَوْصُوفًا.

يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ» فَلَا تَقُلْ عَنْ صِفَةِ اللَّهِ أَنَّهَا -أَي: الصِّفَةُ- بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَلَا أَنَّهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا أَنَّهَا إِلَهٌ وَاحِدٌ، فإِذَنْ

ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الصِّفَاتِيَّةِ^{١١} مَنْ لَا يَقُولُ فِي الصِّفَاتِ إِنَّهَا قَدِيمَةٌ، بَلْ يَقُولُ:
الرَّبُّ بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ.

لَمْ تَتَّصِفِ الصِّفَةُ بِشَيْءٍ مِنْ خِصَائِصِ اللَّهِ، فَإِذَا أُثْبِتَ لِلَّهِ الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ لَمْ تَكُنْ مِمَّا لَا عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِصِفَةٍ قَدِيمَةٍ فَهُوَ مِمَّا لَا أَنْ أَحْصَى وَصَفَ اللَّهِ عِنْدَهُمْ هُوَ الْقِدَمُ.

[١] الْآنَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَسَمَ الصِّفَاتِيَّةَ إِلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَالْمُرَادُ بِالصِّفَاتِيَّةِ: هُمُ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ كُلَّهَا أَوْ بَعْضَهَا، مِنْهُمْ مَنْ لَا يَقُولُ إِنَّ الصِّفَاتِ مِنْهَا قَدِيمٌ؛ يَعْنِي: يَمْتَنِعُ أَنْ يَقُولَ: حَيَاةُ اللَّهِ قَدِيمَةٌ، سَمْعُهُ قَدِيمٌ، بَصَرُهُ قَدِيمٌ، لَا يَقُولُ هَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُ: الرَّبُّ بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ؛ إِذَا مَا مِنْ ذَاتٍ إِلَّا وَلَهَا صِفَاتٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ بَدُونَ صِفَاتٍ أَبَدًا مَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنْ صِفَةٍ إِطْلَاقًا.

فَهَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ، وَلَا يَقُولُ هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ؛ يَعْنِي: إِنْ أَخْبَرْتَ بِالْقِدَمِ عَنِ اللَّهِ وَاحِدَهُ وَعَنِ الصِّفَةِ وَاحِدَهَا فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ جَمَعْتَهُمَا فِي خَيْرٍ وَاحِدٍ فَهُوَ لَا يَجُوزُ؛ يَعْنِي: غَرِيبٌ.

إِذَنْ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: اللَّهُ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: اللَّهُ وَصِفَتُهُ قَدِيمَانِ، فَتَجْمَعُهُمَا فِي خَيْرٍ وَاحِدٍ.

يَقُولُونَ: إِذَا أَخَّرْتَ كُلَّ وَاحِدٍ عَنِ الْآخِرِ فَقَدْ مَيَّزْتَ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا قَرَنْتَهُمَا فِي خَيْرٍ وَاحِدٍ فَقَدْ أَشْرَكْتَ بَيْنَهُمَا، مِثْلُ مَا أَنْكَ لَوْ تَقُولُ: لَوْ لَا اللَّهُ وَزَيْدٌ أَنْقَذَنِي مِنَ الْغَرَقِ لَهْلَكْتُ، أَوْ أَنْقَذَانِي مِنَ الْغَرَقِ لَهْلَكْتُ. هَلْ هَذَا يَجُوزُ؟ لَا يَجُوزُ، لَكِنْ لَوْ قُلْتَ: لَوْ لَا زَيْدٌ أَنْقَذَنِي مِنَ الْغَرَقِ لَجَازَ ذَلِكَ، وَقَوْلُنَا: لَوْ لَا اللَّهُ أَنْقَذَنِي مِنَ الْغَرَقِ، يَجُوزُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ، وَلَا يَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ^[١].
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ؛ وَلَكِنْ يَقُولُ: ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي مُشَارَكَةَ
الصِّفَةِ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ؛ فَإِنَّ الْقَدَمَ لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِ الذَّاتِ الْمُجَرَّدَةِ، بَلْ
مِنْ خَصَائِصِ الذَّاتِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتٍ، وَإِلَّا فَالذَّاتُ الْمُجَرَّدَةُ لَا وُجُودَ لَهَا
عِنْدَهُمْ فَضْلًا عَنْ أَنْ تُخْتَصَّ بِالْقَدَمِ^[٢].

[١] هم يقولون: إن قلت: الله القديم وصفته قديمة ليس في هذا بأس، وإن
قلت: الله وصفته قديمان فهو لا يجوز عندهم.

[٢] الرَّأْيُ الثَّالِثُ: يقول هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ لَكِنْ يَقُولُ: ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي مُشَارَكَةَ
الصِّفَةِ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ، فَإِنَّ الصِّفَةَ لَيْسَتْ مِنْ خَصَائِصِ الذَّاتِ الْمُجَرَّدَةِ، بَلْ
مِنْ الْخَصَائِصِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتِهِ، وَإِلَّا فَالذَّاتُ الْمُجَرَّدَةُ لَا وُجُودَ لَهَا عِنْدَهُمْ فَضْلًا
عَنْ أَنْ تُخْتَصَّ بِالْقَدَمِ، هَذَا هُوَ أَقْرَبُ الْأَقْوَالِ أَنْ نَقُولَ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ، لَكِنْ
ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الصِّفَةُ مُشَارَكَةً لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ.

نقول: هو وصفاته قديمان لكن لا يقتضي أن تكون الصفة المنفصلة عنه مشاركة
له في شيء من خصائصه، لا يمكن أن نقول هذا؛ لأنَّ الذَّاتَ الْمُجَرَّدَةَ عَنْ الصِّفَاتِ غَيْرُ
ثَابِتَةٍ، مَا مِنْ ذَاتٍ إِلَّا وَلَهَا صِفَاتٌ.

فيقولون: هو وصفاته قديمان، لكن لا نقول: إنه لا نُقَدِّرُ أَنَّ الصِّفَةَ مُسْتَقَلَّةً عَنْ
الذَّاتِ؛ لِأَنَّ اسْتِقْلَالَ الصِّفَةِ عَنِ الذَّاتِ أَمْرٌ غَيْرٌ مُمْكِنٍ، وَقَدْ يَقُولُونَ: الذَّاتُ مُتَّصِفَةٌ
بِالْقَدَمِ، وَالصِّفَاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ، وَلَيْسَتْ الصِّفَاتُ إِلَهًا وَلَا رَبًّا؛ يَعْنِي مَعْنَاهُ: يَقْصِلُونَ
هَذَا عَنْ هَذَا وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ فِي الصِّفَاتِ إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ؛ مِثْلُ: أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ وَصِفَاتُهُ

محدثه، رسول الله ﷺ محدث، صفاته من الطول أو القصر أو البياض أو السواد أو ما أشبه ذلك محدث، تقول مثلاً: النبي محمد ﷺ رسول، تقول: كونه ربعة من الرجال ليس بالقصر ولا بالطويل البائن، هذا رسول يعني: هذه الصفة فيه، تقول مثلاً: بياض وجهه ونوره.

نقول: الله تعالى قديم، ولكن صفته التي هي قديمة ليست إلهًا، كما أن الرسول محدث وليست صفته المحدثه رسولاً.

الواقع أننا نقول بأحد أمرين؛ إما أن تقول: إن الله بصفاته قديم، وأنه لا يمكن أن توجد ذات بدون صفة، أو تقول: الله وصفاته قديمان، لكن ليس معنى ذلك أن الصفة متميزة عن الخالق عن الموصوف بحيث تكون رباً أو إلهًا، وأما أن نقرق بين أن تقول: الله قديم وصفته قديمة فهو جائز، فإن قلت: الله وصفته قديمان فهو ممنوع، وهذا لا وجه له؛ فالأمر لا يدور على التعبير، ولكن يدور على المعنى.

ذكرت مثالين في الإرادة والرحمة، فإن شئت ثبتوا الإرادة بالسمع، فإثبات السمع عند المعتزلة تشبيه، وعند الأشاعرة ليس بتشبيه، وإثبات الرحمة عند الأشاعرة تشبيه وعند أهل السنة ليس بتشبيه.

والحاصل أن التشبيه المنفي إن أريد به المماثلة التي فيها يجوز على كل واحد منهما ما يجوز على الآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع، ويجب ما يجب إن أريد بها ذلك فهذا لا يمكن.

وإن أريد بالمشابهة المشابهة بوجه دون آخر أو المشاركة في الاسم فهذا جائز،

وَقَدْ يَقُولُونَ: الذَّاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ وَالصِّفَاتُ مُتَّصِفَةٌ بِالْقَدَمِ، وَلَيْسَتْ
الصِّفَاتُ إِلَهَا وَلَا رَبًّا، كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ مُحَدَّثٌ وَصِفَاتُهُ مُحَدَّثَةٌ، وَلَيْسَتْ صِفَاتُهُ نَبِيًّا^(١١).

لكنه لا يُمكن القول به؛ لأنَّ كُلَّ من يدَّعي أن هذا تشبيه يُنكره أو ينازعه في ذلك
خصمه ويقول: ليس بتشبيه فتبيّن أن الاعتماد في إثبات الصِّفَات على مُجرّد في التشبيه،
حُكْمُهُ لا يجوزُ.

[١] من شُبْهِهِمْ أَيْضًا أن إثبات الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ والأَجْسَامَ مُتِمَّاثَةً،
وهذا امتداد لما سَبَقَ من أن إطلاق الاعتماد على نفي التشبيه لا يجوز؛ وذلك لأنَّ النَّاسَ
اختلفوا في التشبيه حتى إن منهم مَنْ يرى أن إثبات الصِّفَاتِ تَشْبِيهٌ، ومنهم مَنْ يرى أن
وصف الله بأنه موجود تشبيهٌ، فالاعتماد على مُجرّد نفي التشبيه أمرٌ لا يجوزُ، كما أن
الاعتماد على إثبات بلا تشبيه أمرٌ لا يجوزُ.

كُلُّ ما يَأْتِي مِنْ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ وَكَلَامُهُ مع المنازعين فرُعٌ، إنما القاعدةُ أنه
لا يصحُّ في إثبات صِفَاتِ الله أن نَعْتَمِدَ على مُجرّد نفي التشبيه، أو على مُجرّد الإثبات
بلا تشبيه.

أما الأوّل فلأنك إذا قُلْتَ: نَعْتَمِدُ على النَّفْيِ المطلق الذي هو نفي التشبيه، فقد
يقول قائل: إن إثبات السَّمْعِ والبَصَرِ تشبيهٌ، وقد يقول غيره: إثبات العُلُوّ تشبيهٌ،
وقد يقول آخر: إثبات الحَيَاةِ تشبيهٌ، وإثبات العِلْمِ تشبيهٌ، وإثبات القُدْرَةِ تشبيهٌ.

كَذَلِكَ إذا اعْتَمَدْتَ على إثبات بلا تشبيه ما يصحُّ؛ لأنّه قد يقول قائل: نُثَبِّتُ
أن الله تعالى أنفًا لا يُشَبِّهُه أَنَا ف المخلوقين، أن له بطنًا لا يُشَبِّهُه بطون المخلوقين، وهذا
لا يجوزُ.

النقطة الثانية: مُجرّد نفي التشبيه لا يصحُّ لا في الإثبات ولا في النَّفْيِ.

فَهَؤُلَاءِ إِذَا أَطْلَقُوا عَلَى الصِّفَاتِيَّةِ اسْمَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ كَانَ هَذَا بِحَسَبِ
اعْتِقَادِهِمُ الَّذِي يُنَازِعُهُمْ فِيهِ أَوْلَيْكَ^[١].

ثُمَّ تَقُولُ لَهُمْ أَوْلَيْكَ: هَبْ أَنْ هَذَا الْمَعْنَى قَدْ يُسَمَّى فِي اصطلاحِ بَعْضِ
النَّاسِ تَشْبِيهًا، فَهَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَنْفِهِ عَقْلٌ وَلَا سَمْعٌ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ نَفْيُ مَا نَفَتْهُ
الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ^[٢]،

[١] قوله: «فَهَؤُلَاءِ» يَقْصِدُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ، «إِذَا أَطْلَقُوا عَلَى الصِّفَاتِيَّةِ»
الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ سِوَاءِ أَثْبَتُوا الْجَمِيعَ أَوْ أَثْبَتُوا الْبَعْضَ، «اسْمَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ كَانَ
هَذَا بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِمُ الَّذِي يُنَازِعُهُمْ فِيهِ أَوْلَيْكَ» يُطْلِقُونَ عَلَى الصِّفَاتِيَّةِ اسْمَ التَّشْبِيهِ.

الْأَشَاعِرَةُ يَقُولُونَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ: أَنْتُمْ مُشَبَّهَةٌ؛ لَأَنْكُمْ تُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى الرَّحْمَةَ وَالْمَحَبَّةَ
وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ، وَالْمَعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ لِلْأَشَاعِرَةِ: أَنْتُمْ مُشَبَّهَةٌ؛ لَأَنْكُمْ تُثْبِتُونَ الْإِرَادَةَ وَالْكَلَامَ
وَالْبَصَرَ وَالسَّمْعَ، وَالْغَلَاةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لَاحُظٌ وَلَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ يَقُولُونَ لِمَنْ أَثْبَتَ
وَجُودَ اللَّهِ: أَنْتُمْ مُشَبَّهَةٌ، كَانَ هَذَا بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِمُ الَّذِي يُنَازِعُهُمْ فِيهِ أَوْلَيْكَ.

[٢] مَثَلًا نَقُولُ: أَنَا أَثْبِتُ السَّمْعَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يَقُولُونَ: إِثْبَاتُ
السَّمْعِ تَشْبِيهٌ، نَقُولُ لَهُمْ: هَبْ أَنْ إِثْبَاتَ السَّمْعِ يُسَمَّى فِي اصطلاحِكَ تَشْبِيهًا، هَبْ
بِمَعْنَى: قَدَّرَ، قَدَّرَ أَنَّهُ يُسَمَّى تَشْبِيهًا، فَهَلْ إِذَا سَمَّيْتَهُ أَنْتَ تَشْبِيهًا يَجِبُ عَلَيَّ نَفْيُهُ مَعَ أَنَّ
الْأَدِلَّةَ أُثْبِتُهُ؟

الْجَوَابُ: لَا، فَلهَذَا يَقُولُ: «فَهَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَنْفِهِ عَقْلٌ وَلَا سَمْعٌ».

فَإِذَا لَمْ يَنْفِهِ الْعَقْلُ وَلَا السَّمْعُ بَلْ أُثْبِتُهُ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ فَالْوَاجِبُ إِثْبَاتُهُ،
سَمَّيْتَهُ أَنْتَ تَشْبِيهًا أَوْ لَا تُسَمِّهِ، مَعَ أَنَّنَا نَحْنُ لَا نُثْبِتُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ؛ إِذْ إِنَّا نَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ

وَالْقُرْآنُ قَدْ نَفَى مُسَمَّى الْمِثْلِ وَالْكَفِّ وَالنَّدَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ^[١].

وَلَكِنْ يَقُولُونَ: الصِّفَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَيْسَتْ مِثْلَ الْمَوْصُوفِ وَلَا كُفُوُهُ
وَلَا نِدَهُ فَلَا يَدْخُلُ فِي النَّصِّ، وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَلَمْ يَنْفِ مُسَمَّى التَّشْبِيهِ فِي اصطِلَاحِ
الْمُعْتَزِلَةِ^[٢].

سَمْعًا لَا يُشَبِّهُ أَسْمَاعَ الْمَخْلُوقِينَ وَبَصَرًا لَا يُشَبِّهُ أَبْصَارَ الْمَخْلُوقِينَ، وَنَحْنُ إِذَا رَأَيْنَا فِي
الشَّاهِدِ أَنَّ السَّامِعَاتِ تَخْتَلِفُ أَسْمَاعُهُمْ وَالْبَاصِرَاتِ تَخْتَلِفُ أَبْصَارُهُمْ، الطَّيْرُ فِي جَوِّ
السَّمَاءِ يَنْظُرُ إِلَى الْحَبَّةِ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا طَلَعْنَا إِلَى سَطْحٍ لِنَنْظُرَ إِلَى الْحَبَّةِ فِي الْأَرْضِ فَلَنْ
نَرَاهَا.

[١] المَحْذُورُ أَنْ تَكُونَ الْمِشَابَهَةُ مُطْلَقَةً بِحَيْثُ يَكُونُ هَذَا كُفُوًا لِهَذَا وَهَذَا مِثْلًا
لِهَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُونَ: الصِّفَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَيْسَتْ مِثْلَ الْمَوْصُوفِ وَلَا كُفُوُهُ وَلَا نِدَهُ
فَلَا يَدْخُلُ فِي النَّصِّ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]، هَذَا نَفْيٌ لِلْمِثْلِ فَهَلِ
الصِّفَةُ مِثْلُ الْمَوْصُوفِ؟

الْجَوَابُ: لَا، لَيْسَتْ الصِّفَةُ كَالْمَوْصُوفِ؛ إِذْ إِنَّ الصِّفَةَ مَعْنَى فِي الْمَوْصُوفِ وَلَيْسَتْ
هِيَ الْمَوْصُوفُ، فَالْبَصَرُ لَيْسَ هُوَ الْعَيْنُ، وَلَكِنَّهُ قُوَّةٌ فِي الْعَيْنِ، وَالسَّمْعُ لَيْسَ هُوَ الْأُذُنُ،
لَكِنَّهُ قُوَّةٌ لِلْأُذُنِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، النُّطْقُ لَيْسَ هُوَ اللِّسَانُ، وَلَكِنَّهُ قُوَّةٌ فِي اللِّسَانِ
وَالشَّفَتَيْنِ وَالْحَلْقِ.

[٢] قوله: «وَأَمَّا الْعَقْلُ فَلَمْ يَنْفِ مُسَمَّى التَّشْبِيهِ فِي اصطِلَاحِ الْمُعْتَزِلَةِ».

الْمُعْتَزِلَةُ يَرَوْنَ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ، وَكُلُّ إِثْبَاتِ صِفَةٍ عِنْدَهُمْ تَشْبِيهٌ،
وَالْعَقْلُ لَا يَنْفِي ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَقُولُونَ: إِنَّ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ مُتَحَيِّزٍ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، فَلَوْ قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ لِلزِّمِ أَنْ يَكُونَ مُمَاثِلًا لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ، وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ^[١].

وَكَذَلِكَ يَقُولُ هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الصِّفَاتِيَّةِ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عُلُوَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقِيَامَ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ بِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَيَقُولُونَ: الصِّفَاتُ قَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَأَمَّا الْعُلُوُّ عَلَى الْعَالَمِ فَلَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا كَانَ جِسْمًا، فَلَوْ أَثْبَتْنَا عُلُوَّهُ لِلزِّمِ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَحِينَئِذٍ فَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فَيَلْزِمُ التَّشْبِيهُ^[٢].

[١] يعني: تقرير المعتزلة بأن إثبات الصِّفَاتِ تشبيهٌ يقول: الصِّفَاتُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ مُتَحَيِّزٍ، هذه مُقَدِّمَةٌ، المقدمة الثانية: والأجسامُ متماثلةٌ. النتيجة: لو قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ لِلزِّمِ أَنْ يَكُونَ مُمَاثِلًا لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ، وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ.

يقول المعتزلة: إِنَّ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سَمِيعٌ إِلَّا وَهُوَ جِسْمٌ يَسْمَعُ، بَصِيرٌ إِلَّا وَهُوَ جِسْمٌ يُبْصِرُ وَهَكَذَا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، كُلُّ جِسْمٍ يُمَاثِلُ الْجِسْمَ الْآخَرَ، وَاحِدٌ زَائِدٌ اثْنَيْنِ النَّتِيجَةُ ثَلَاثَةٌ، الصِّفَاتُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِجِسْمٍ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ إِذَنْ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، هَذِهِ النَّتِيجَةُ مِثْلُ نَتِيجَةِ الْجَمْعِ بِالضَّبْطِ.

[٢] قوله: «وَكَذَلِكَ يَقُولُ» مقول القول، «هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الصِّفَاتِيَّةِ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عُلُوَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقِيَامَ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ:

الْصِّفَاتُ قَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَأَمَّا الْعُلُوُّ عَلَى الْعَالَمِ فَلَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا كَانَ جِسْمًا، فَلَوْ أَثْبَتْنَا عُلوَّهُ لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَحِينَئِذٍ فَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ.

هناك أناسٌ يُثَبِّتُونَ بعضَ الصِّفَاتِ وَيَنْفُونَ عُلوَّهُ على العرشِ، وقيامُ الأفعالِ التي تليقُ بهِ مثلُ الأشاعرةِ الَّذِينَ يُثَبِّتُونَ بعضَ الصِّفَاتِ وَيُنْكِرُونَ عُلوَّهُ على العرشِ، يَقُولُونَ: اللهُ لم يَعْلُ على العرشِ؛ يعني: لم يَسْتَوْ عليه، وَيُنْكِرُونَ قيامَ الأفعالِ الاختياريَّةِ بهِ: مثلُ النزولِ مثلاً إلى السَّماءِ الدُّنيا، هذا فعلٌ اختياريٌّ، يَقُولُونَ: لا يمكنُ أن يَنْزَلَ إلى السَّماءِ الدُّنيا ولا يمكنُ أن يَفْعَلَ الأفعالَ الاختياريةَ، لماذا؟

قالوا: لأنَّ هذه الصِّفَاتِ لا تكونُ إِلَّا بِجِسْمٍ، والأجسامُ متماثلةٌ، أما السَّمْعُ والبَصَرُ فلا، فَإِنَّهُ قد يقومُ بما ليسَ بِجِسْمٍ، وفي الحقيقةِ أَنَّ قولَهُم إنَّ الصِّفَاتِ لا تكونُ إِلَّا بِجِسْمٍ والمخلوقاتُ تكونُ بغيرِ جِسْمٍ هذا صحيحٌ.

ولهذا الآنَ أنا أريدُ أن أُرَدِّ عليهم وعلى الأوَّلِينَ فنقول:

قول الأوَّلِينَ إنَّ الصِّفَاتِ لا تقومُ إِلَّا بِجِسْمٍ. مردودٌ بقول الآخرين: إنَّ الصِّفَاتِ قد تقومُ بما ليسَ بِجِسْمٍ؛ فأنْتَ الآنَ تقولُ: اليومُ طويلٌ بدلاً من أن تقولَ: النهارُ، وتقولُ: ليلٌ طويلٌ ونهارٌ قصيرٌ، وتَصِفَ النهارَ بالقَصَرِ، وتَصِفَ الليلَ بالطُّولِ، الطولُ والقصرُ صِفَةٌ، والليل والنهار غير جِسْمٍ.

قولهم: الاثنان يقولان: إنَّ الأجسامَ متماثلةٌ؛ الأوَّلُونَ قالوا: إنَّ الأجسامَ متماثلةٌ وهؤلاء أيضاً يقولون ذلك، وأما العُلُوُّ فلا يَصِحُّ إِلَّا إذا كانَ جِسْمًا فلو أثبتنا عُلوَّهُ لَزِمَ أَنْ يكونَ جِسْمًا وحينئذٍ فالأجسامُ متماثلةٌ.

هل صحيح أن الأجسام متماثلة؟

الأجسام ليست متماثلة بلا شك، لا في الكبير ولا في الصغر، ولا في الحجم، ولا في الوزن بعضها خفيف وبعضها ثقيل، ولا في اللمس، ولا في اللون، ولا في الشكل، المهم ليست متماثلة بأي شيء من الأشياء، عندك حجر صلب قديم وعندك زبدة هل هما متماثلان؟ عندك مثلاً شوك وعندك بساط لين، هل هما واحد؟!

إذن القول بأن الأجسام متماثلة هذا من أبطال الأقوال، ولا يمكن أن تتماثل الأجسام، وأنا أتعجب من هؤلاء الذين يدعون أنهم عقلاء كيف يقولون إن الأجسام متماثلة؟! إذا قالوا الأجسام متماثلة نقول: بأي شيء تتماثل بالوجود مثلاً؟

لا بُدَّ لكلٍّ موجودٍ أن يشارك غيره في أصل الوجود، إن أرادوا بالتسمية كل واحدٍ منها هو جسمٌ صحيحٌ، لكن إن أرادوا في الحقيقة هل يمكنُ أنها تتماثلُ؟

الجواب: لا يمكنُ، إذن نمنعُ المقدمة الأولى والثانية، وإذا منَعنا المقدمتين انتفتِ النتيجة؛ لأنَّ النتيجة مبنية على ثبوتِ المقدمتين، فإذا انتفتِ المقدمتان انتفتِ النتيجة، إذا قلنا لهم: قولكم إن الصفات لا تقوم إلا بجسم. هذا ممنوعٌ، وعندنا برهانٌ على منعه مثل: الليل والنهار يُوصفان بالطول والقصر، ويوصفان بالشدة والرخاء، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المدثر: ١٠].

فعلى هذا: الصفاتُ تقومُ بما ليس بجسم.

إذا قالوا الأجسام متماثلة، وعندنا برهانٌ، نقول: مثلاً: الزبدة، والقطن، والحجر،

هل بينهم فرقٌ؟!

فَلِهَذَا تَجِدُ هَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ مَنْ أَثْبَتَ الْعُلُوَّ وَنَحْوَهُ مُشَبَّهًا، وَلَا يُسَمُّونَ مَنْ
أَثْبَتَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلامَ وَنَحْوَهُ مُشَبَّهًا، كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْإِرْشَادِ
وَأَمْثَالُهُ^[١].

وَكَذَلِكَ يُوَافِقُهُمْ عَلَى الْقَوْلِ بِتَمَثُّلِ الْأَجْسَامِ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَأَمْثَالُهُ مِنْ
مُثَبِّتَةِ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ؛ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً كَمَا هُوَ أَوَّلُ قَوْلِي
الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى، فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي الْوَجْهِ^[٢].

وَقَدْ مَثَلًا إِلَى الشَّيْءِ الْأَحْمَرِ وَالشَّيْءِ الْأَصْفَرِ، انْظُرْ إِلَى الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ، هَلْ هِيَ
مَتَمَاثِلَةٌ؟! إِذَا امْتَنَعَتِ الْمَقْدَمَتَانِ الْمَبْنِيَّ عَلَيْهِمَا التَّشْبِيهَ انْتَفَتِ النَتِيجَةُ وَهِيَ التَّشْبِيهُ.

[١] قوله: «تَجِدُ هَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ مَنْ أَثْبَتَ الْعُلُوَّ وَنَحْوَهُ مُشَبَّهًا، وَلَا يُسَمُّونَ مَنْ
أَثْبَتَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلامَ وَنَحْوَهُ مُشَبَّهًا، كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْإِرْشَادِ وَأَمْثَالُهُ».

لَأَنَّ عِنْدَهُمْ بَأَن هَذَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ، وَهَذَا لَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ، الَّذِي يُثَبِّتُ الْعُلُوَّ
يُثَبِّتُ أَنَّهُ جِسْمٌ، وَالَّذِي يُثَبِّتُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ لَمْ يُثَبِّتْ أَنَّهُ جِسْمٌ، هَذَا تَحْكُمُ فِي الْحَقِيقَةِ
لَيْسَ فِيهِ فَرْقٌ.

[٢] يَقُولُونَ: نَحْنُ نُثَبِّتُ الصِّفَاتِ وَنَرَى أَنَّ الْأَجْسَامَ مَتَمَاثِلَةٌ، لَكِنَّهُمْ يَمْنَعُونَ
أَن تَكُونَ الصِّفَاتُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، وَيَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً كَمَا هُوَ أَوَّلُ قَوْلِي
الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى، فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي الْوَجْهِ.

عِنْدَنَا الْعُلَمَاءُ يُقَسِّمُونَ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ، أَوْ يَقَسِّمُونَ الصِّفَاتِ إِلَى قَسْمَيْنِ:

صِفَاتٍ خَبَرِيَّةٍ؛ بِمَعْنَى أَنَّ إِثْبَاتَهَا جَاءَ عَنْ طَرِيقِ الْخَبَرِ الْمُخْصَرِّ، مَا لِلْعَقْلِ فِيهَا
مَدْخَلٌ مِثْلُ: إِثْبَاتِ الْوَجْهِ، وَالْيَدِ وَالْعَيْنِ.

ولا تَدُلُّ عليها الفطرةُ ولا العقلُ، ولهذا لو قال قائلٌ: أثبتُّونَ اللهَ رأسًا؟ نقول: لا. لماذا لا تُثبِتُون؟ لأنَّ السَّمْعَ لم يَرِدْ به.

وهل تُثبِتُون أن اللهَ يتكلَّمُ؟ نعم؛ لأنَّ الشَّرْعَ والعقلَ دَلَّ عليه.

تُثبِتُون أن له لِسَانًا؟ لا؛ لأنَّه ما جاء به السَّمْعُ.

صِفَاتٌ عَقْلِيَّةٌ مثل: القُدْرَةُ والعِزَّةُ والخلْقُ، هذه صِفَاتٌ خَيْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ دَلَّ عليها العقلُ وتُثبِتُ بالعقلِ والسَّمْعِ.

وإذا سأل سائل: هل يصحُّ أن يقولَ شخصٌ: لِسَانُ الله؟

فالجواب: لا، أوَّلُ ما نقول: لا ينبغي أن تقولَ على لسانِ الله؛ لأنَّ هذا ما ثبَّتَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكنه هو لا يُريدُ اللِّسَانَ الَّذِي هو الجَارِحُ، بل يريدُ باللسانِ الَّذِي هو القولُ والكلامُ، ومع ذلكَ نقول: لا تفعلْ؛ لأنَّه لا يمكنُ إطلاقُ اللِّسانِ على القولِ إلا في قولٍ مَنْ لَهُ لِسَانٌ فلا تقل: لسان الله.

ويجوز أن يكونَ الكلامُ بلا لسانٍ كما تتكلَّمُ الأرضُ في قوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، وكما أن جِلْدَكَ يشهدُ يومَ القيامةِ وينطقُ.

أليس الحصى يُسبِّحُ بين يدي الرَّسُولِ ﷺ ويسمَعُ؟ فلا يلزمُ من الكلامِ أن يكونَ لِسَانًا.

يقولُ أبو يعلى ومَنْ وافقه: إنما ذَكَّرْنَا أَنَّ ما أثبتَّناه لا يُنافي الجِسْمَ؛ يعني: وإن قُدِّرَ أن اللهَ جِسْمٌ حيثُ إنه اتَّصَفَ بهذه الصِّفَاتِ فلا مانعَ من ذلكَ، ونقول: إن الأجسامَ ليستَ متماثلةةً.

وَقَدْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا يُثْبِتُونَهُ لَا يُنَافِي الْجِسْمَ. كَمَا يَقُولُونَهُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.
وَالْعَاقِلُ إِذَا تَأَمَّلَ وَجَدَ الْأَمْرَ فِيمَا نَفَوْهُ كَالْأَمْرِ فِيمَا أَثْبَتُوهُ لَا فَرْقَ.

وَأَصْلُ كَلَامِ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ عَلَى أَنَّ إثْبَاتَ الصِّفَاتِ مُسْتَلَزِمٌ لِلتَّجْسِيمِ
وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ^[١].

وَالْمُثْبِتُونَ يُجِيبُونَ عَنْ هَذَا تَارَةً بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَى، وَتَارَةً بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَةِ
الثَّانِيَةِ، وَتَارَةً بِمَنْعِ كُلِّ مِنَ الْمُقَدِّمَتَيْنِ، وَتَارَةً بِالاسْتِفْصَالِ^[٢].

[١] هذا الأصل، كُلُّ الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ هُنَا مِنْ أَخِذٍ وَرَدَّ يَعُودُ عَلَى هَاتَيْنِ
النُّقْطَتَيْنِ، إثْبَاتُ الصِّفَاتِ مُسْتَلَزِمٌ لِلتَّمَثِيلِ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُمْ بِمَنْعِ
الْمُقَدِّمَتَيْنِ جَمِيعًا، فنقول: قولكم: إثْبَاتُ الصِّفَاتِ مُسْتَلَزِمٌ لِلتَّجْسِيمِ. ليس بصحيح؛
إِذْ قَدْ تَقُومُ الصِّفَةُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ.

وقولكم: الْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّهَا مُتَبَايِنَةٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَعَلَى
هَذَا يَمْتَنِعُ وَجُودُ النَّاتِجَةِ، وَالنَّاتِجَةُ التَّشْبِيهُ.

كُلُّ الْكَلَامِ الَّذِي سَبَقَ مَبْنِيٌّ عَلَى حُجَّةٍ وَهِيَ: أَنَّ إثْبَاتَ الصِّفَاتِ مُسْتَلَزِمٌ
لِلتَّجْسِيمِ؛ لِأَنَّ الصِّفَاتَ عِنْدَهُمْ لَا يَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ.

[٢] الْإِجَابَاتُ بَيْنَهُنَّ الْمَوْلُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى: إثْبَاتُ الصِّفَاتِ مُسْتَلَزِمٌ لِلتَّشْبِيهِ لِلتَّجْسِيمِ، وَمَنْعُهَا أَنْ نَقُولَ:
إثْبَاتُ الصِّفَاتِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ؛ لِأَنَّ الصِّفَاتَ قَدْ تَكُونُ بِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، هَذَا
بِمَنْعِ الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَى.

المقدمة الثانية: الأجسام متماثلة، فيقولون مثلاً كقول القاضي أبي يعلى: هب أنها تستلزم التشبيه لكن الأجسام غير متماثلة، هب أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، وأن الصفات لا تكون إلا بجسم، ولكننا نقول: نمنع المقدمة الثانية التي تقول: إن الأجسام متماثلة.

وتارة بمنع المقدمتين جميعاً، وهذا الأخير هو الصحيح؛ يعني: نمنع المقدمتين جميعاً بالدليل والبرهان، المقدمتان: إثبات الصفات مستلزم للتجسيم، والأجسام متماثلة.

قوله: «وتارة بالاستفصال»، فنقول مثلاً: ماذا تعني بالتماثل؟ إن أردت بالتماثل: التماثل في الحقيقة فهذا ممنوع، وإن أردت بالتماثل: التماثل في أصل الشيء كأصل الوجود مثلاً، وأصل السمع، وأصل البصر، وأصل الكلام وما أشبه ذلك، فهذا جائز وليس فيه نقص.

نقول: ماذا تعني بقولك: الأجسام متماثلة؟ هل تقصد تماثلة في الجسمية؟ بمعنى: أن كلاً منها جسم قائم بنفسه؟

فهذا صحيح؛ لأنك عندما تقول مثلاً: هذا الكتاب جسم، وهذا المسجل جسم، وهذه الماصة جسم، وهذا الإنسان جسم، كلها متفقة تماثلة في الجسمية، في كونها جسماً لكنها ليست متماثلة في الحقيقة، فنستفصل منه، فنقول: ماذا تعني بالتماثل؟ إن أردت كذا فحق ولا يلزمه أي نقص، فإذا أراد أن الله تعالى ذات قائمة بنفسها، فليس في هذا مانع، لكن لو قال: إن الله ذات تشبه ذوات غيره قلنا: قف الآن هذا الممتنع.

وَلَا رَبَّ أَنْ قَوْلُهُمْ بِتَمَثُّلِ الْأَجْسَامِ قَوْلٌ بَاطِلٌ سَوَاءٌ فَسَّرُوا الْجِسْمَ بِمَا يُشَارُ إِلَيْهِ، أَوْ بِالْقَائِمِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِالْمَوْجُودِ^[١]، أَوْ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْهَيُولَى وَالصُّورَةِ^[٢]، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

[١] هم مختلفون في تفسير الجسم؛ فمنهم من يقول: إن الجسم ما يُشار إليه، كل ما يمكن الإشارة إليه فهو جسم.

ومنهم من يقول: إن الجسم هو القائم بنفسه، فأما الذي يكون صفة في غيره فليس بجسم كالطول والقصر والقيام والقعود والبياض والسواد والحُمْرة؛ لأنها لا تكون قائمة بنفسها، إنما هي قائمة بغيرها، أو بالْمَوْجُودِ، وهذا ما عرفت أن أحداً يقول إن الجسم هو الْمَوْجُودُ، كل مَوْجُودٍ فهو جسم لا أدري عنه.

على كل حال الذي يفهم من كلام شيخ الإسلام أن من الناس من فسّر الجسم بالْمَوْجُودِ، وهذا في الحقيقة ما لم يُتصوّر، إذا قلنا: كل مَوْجُودٍ هو جسم. لم يبق شيء ويسمى جسم على هذا الحال حتى الصفات تُسمى جسماً؛ لأنها قد تكون مَوْجُودَةً وقد تكون مَعْدُومَةً.

[٢] قوله: «أَوْ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْهَيُولَى وَالصُّورَةِ» الهَيُولَى: اسم للشيء للحقيقة التي عليها الشيء، مثلاً الإنسان هَيُولَى وصورة؛ يعني: جسم غير مصوّر وصورة أيضاً (فالهيولى) اسم للشيء، والصورة اسم لصفته فيقولون: ما تَرَكَّبَ من شيء وصفة فهو جسم، وما ليس كذلك فليس بجسم مهما فُسِّر الجسم بهذه التفاسير التي ذكر المؤلف الأربعة: «بِمَا يُشَارُ إِلَيْهِ، أَوْ بِالْقَائِمِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِالْمَوْجُودِ، أَوْ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْهَيُولَى». هذه التفاسير مهما قيل إنها هي الجسم فإنه لا يمكن أن تكون متماثلة.

فَأَمَّا إِذَا فَسَّرُوهُ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَفْرَدَةِ وَعَلَى أَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ، فَهَذَا يُبْنَى عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ، وَعَلَى إِبْطَالِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ، وَعَلَى أَنَّهُ مُتَمَاثِلٌ، وَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ يُخَالِفُونَهُمْ فِي ذَلِكَ^[١].

[١] أقول: يقول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- إِذَا فُسِّرَ الْجِسْمُ بِأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَفْرَدَةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ مُتَمَاثِلَةٌ فَهَذَا يُبْنَى عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ، وَعَلَى إِبْطَالِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ، وَعَلَى أَنَّهُ مُتَمَاثِلٌ، صِحَّةُ تَفْسِيرِ الْجِسْمِ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَفْرَدَةِ؛ لِأَنَّ عِنْدَنَا ثَلَاثَةَ أُمُورٍ الْآنَ:

الْأَوَّلُ: تَفْسِيرُ الْجِسْمِ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَفْرَدَةِ.

وَالثَّانِي: إِبْطَالُ هَذِهِ الْجَوَاهِرِ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ، يَقُولُ: وَعَلَى إِبْطَالِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَعَلَى أَنَّهُ مُتَمَاثِلٌ وَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ يُخَالِفُونَهُمْ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ عِنْدَهُمْ مَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَجَزَّأَ، كُلُّ شَيْءٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَجَزَّأَ يُسَمُّوهُ جَوْهَرًا فَرْدًا، وَلِهَذَا يُسَمُّوهُ بِالْفَرْدِ، وَالْجَوْهَرُ ضِدُّ الْعَرَضِ، وَالْعَرَضُ هِيَ الصِّفَةُ، وَفَرْدٌ يَعْنِي: لَا يَتَجَزَّأُ مَا يَكُونُ لَهَا أَجْزَاءٌ، وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ يَقُولُونَ إِنَّهُ يُمْكِنُ وَجُودُهُ، وَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ - كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - يَنْكُرُونَ وَجُودَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِوُجُودِهِ، يَقُولُونَ: إِنْ رَأَسَ الْإِبْرَةِ جَوْهَرٌ فَرْدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَجَزَّأَ، وَلَكِنَّ جُمْهُورَ الْعُقَلَاءِ - كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - يَقُولُ: أَبَدًا مَا مِنْ شَيْءٍ لَهُ جِسْمٌ إِلَّا وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَجَزَّأَ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى أَنْ لَا يَكُونُ شَيْئًا، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُمْكِنُ أَنْ يَتَجَزَّأَ، وَالْآنَ فِي عَالَمِ الذَّرَّةِ تَبِينَ الْآنَ أَنَّ مَا مِنْ شَيْءٍ لَهُ حَجْمٌ وَمَهْمَا كَانَ صَغِيرًا إِلَّا وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَجَزَّأَ وَعَلَى هَذَا فَالْجَوَاهِرُ الْمَفْرَدَةُ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ التَّشْبِيهَ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ تَجْسِيمًا بِنَاءً عَلَى تَمَاطُلِ
الْأَجْسَامِ، وَالْمُثَبِّتُونَ يُنَازِعُونَهُمْ فِي اعْتِقَادِهِمْ^[١]؛ كإِطْلَاقِ الرَّافِضَةِ النَّصَبَ عَلَى
مَنْ تَوَلَّى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِنَاءً عَلَى أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَهُوَ نَاصِبِيٌّ^[٢].

والخلاصة: أن هذا الكلام المقصود به شيء واحد وهو: بطلان كون الأجسام
متماثلة، وهذه التفسيرات التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: بعضها لا يمكن أن يوافقوا
عليها مثل أن يُفسِّروا الجسم بأنه مُركَّب من الجواهر المفردة، فيقال: إنه لا حقيقة
للجواهر الفرد أبداً ولا يمكن وجوده.

[١] وهذه طبعاً دعوى، فالمؤلف يقول: إنهم يُطْلِقُونَ التَّشْبِيهَ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ
تَجْسِيمًا بِنَاءً عَلَى تَمَاطُلِ الْأَجْسَامِ، وقد مرَّ علينا أن هذا ليس بصحيح، وأن إثبات
الصفات ليس تجسيمياً، وأنه على فرض أن يكون دالاً على الجسم فإن الأجسام غير
متماثلة.

[٢] شَبَّهَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- هَؤُلَاءِ بِالرَّافِضَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: كُل مَنْ
أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَإِنَّهُ نَاصِبِيٌّ، وَالنَّاصِبِيُّ: مَنْ نَصَبَ الْعَدَاوَةَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،
لماذا؟ يقول: لا يمكن أن تُحِبَّ أبا بكرٍ وعمرَ وتُحِبَّ علياً أبداً، ولذلك الرافضة
يَبْغِضُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وربما يَلْعَنُونَهُمَا وَيُسَمُّونَهُمَا صَنْمَيْ قَرِيشٍ، أو أن أحدهما
الطَّاغُوثُ، والثاني الْجَبْتُ والعياذُ بالله، يقول: اللَّهُمَّ الْعَن طَاغُوتِي قَرِيشٍ وَجَبْتَيْهِمَا
وَصَنْمَيْهِمَا.

كل هذا دليل على خُبث الرافضة، وأنهم من أجهل الناس بالأمور.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُنَازِعُونَهُمْ فِي الْمَقْدَمَةِ الْأُولَى؛ وَلِهَذَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ: إِنَّ الشَّيْئَيْنِ لَا يَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهِ وَيَخْتَلِفَانِ مِنْ وَجْهِ، وَأَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ^[١].

وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَبَيَّنَّا فِيهِ حُجَجَ مَنْ يَقُولُ بِتَمَثُّلِ الْأَجْسَامِ وَحُجَجَ مَنْ نَفَى ذَلِكَ، وَبَيَّنَّا فَسَادَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ بِتَمَثُّلِهَا، وَأَيْضًا فَإِلَّا عَتَادَ بِهَذَا الطَّرِيقِ عَلَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ اعْتِمَادُ بَاطِلٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَثْبَتَ تَمَثُّلَ الْأَجْسَامِ فَهُمْ لَا يَنْفُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحُجَّةِ الَّتِي يَنْفُونَ بِهَا الْجِسْمَ^[٢].

[١] النِّفَاءُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ إِذَا اشْتَبَهَ فِي شَيْءٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ التَّشَابُهُ مُطْلَقًا، وَأَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ.

[٢] وَهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ حُجَّةٌ عَلَى نَفْيِ الْجِسْمِ؛ لِأَنَّا لَوْ قُلْنَا بِأَنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ فَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا لِلَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ أَوْ لَيْسَ بِجِسْمٍ: مَاذَا تَعْنِي بِكَلِمَةِ الْجِسْمِ؟

إِنْ أَرَدْتَ مَعْنَى صَحِيحًا يَلِيقُ بِاللَّهِ فَهَذَا حَقٌّ، وَإِنْ أَرَدْتَ مَعْنَى بَاطِلًا فَهَذَا بَاطِلٌ، لَوْ قَالَ: أَرَدْتُ بِالْجِسْمِ مَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَيَتَّصِفُ بِالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِهِ قُلْنَا: هَذَا هُوَ اللَّهُ.

وَإِذَا قَالَ: أَرَدْتُ بِالْجِسْمِ مَا يَكُونُ مَكُونًا مُرَكَّبًا مِنْ دَمٍ وَعَظْمٍ وَلَحْمٍ إِلَى آخِرِهِ، قُلْنَا: هَذَا بَاطِلٌ.

يَقُولُ: وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ الْجِسْمَ، وَثَبِتَ امْتِنَاعُ الْجِسْمِ، كَانَ هَذَا وَحْدَهُ كَافِيًا فِي نَفْيِ ذَلِكَ، إِذَا ثَبِتَ أَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ الْجِسْمَ بِنَاءً عَلَى الْمُنْكَرِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ الْجِسْمَ، وَالْجِسْمُ مَتَمَثِّلٌ.

وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ الْجِسْمَ، وَثَبَتَ امْتِنَاعُ الْجِسْمِ كَانَ هَذَا وَحْدَهُ كَافِيًا فِي نَفْيِ ذَلِكَ، لَا يَحْتَاجُ نَفْيُ ذَلِكَ إِلَى نَفْيِ مُسَمَّى التَّشْبِيهِ، لَكِنَّ نَفْيَ التَّجْسِيمِ يَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَى نَفْيِ هَذَا التَّشْبِيهِ^[١] بِأَن يُقَالَ: لَوْ ثَبَتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ جِسْمًا، ثُمَّ يُقَالَ: وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فَيَجِبُ اشْتِرَاكُهَا فِيهَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ^[٢]، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ^[٣].

[١] كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ فِيهِ صُعُوبَةٌ مِنْ حَيْثُ التَّصَوُّرُ، لَكِنْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى الْعَامُّ وَاضِحٌ، نَقُولُ مَثَلًا: لِنَفَرِّضَ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّحْمَةِ، لَوْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ، أَوْ فِي الْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ لَوْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ لَكَانَ جِسْمًا وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، يَقُولُ هَذَا الْمُنْكَرُ لِلصَّفَةِ: لَوْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: الْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، وَإِذَا كَانَتْ مُتَمَاثِلَةً وَجَبَ اشْتِرَاكُهَا فِيهَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ، إِذَا ثَبَتَ أَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ وَجَبَ أَنْ يَشْتَرِكَ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ فِيهَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ.

[٢] قوله: «لَوْ ثَبَتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا»، هَذَا الْمُبْهَمُ فَسَّرْنَاهُ بِالْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، لَوْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ «لَكَانَ جِسْمًا، ثُمَّ يُقَالَ: وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فَيَجِبُ اشْتِرَاكُهَا» اشْتِرَاكُهَا يَعْنِي: اشْتِرَاكُ الْأَجْسَامِ «فِيهَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ»، وَعَلَى هَذَا مَا يَجِبُ لِلْإِنْسَانِ يَجِبُ لِلَّهِ، وَمَا يَجُوزُ عَلَى الْإِنْسَانِ يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ، وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْإِنْسَانِ يَمْتَنِعُ عَلَى اللَّهِ، فَهَلْ هَذَا مُمْكِنٌ؟!

[٣] ولهذا قال: «وَهَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ» مُمْتَنِعٌ عَلَى اللَّهِ، إِذَا كَانَ مُمْتَنِعًا عَلَى اللَّهِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتَوَاءُ مُمْتَنِعًا؛ لِأَنَّهُ يُوَدِّي إِلَى مُمْتَنِعٍ، وَمَا أَدَّى إِلَى مُمْتَنِعٍ فَهُوَ مُمْتَنِعٌ، وَكُلُّ الْكَلَامِ فِي الْحَقِيقَةِ فِيهِ تَكَرُّرٌ كَثِيرٌ، لَكِنْ بَعَابَاتٍ مُخْتَلِفَةٌ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّا نَرْجِعُ إِلَى أَصْلِ الْقَاعِدَةِ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ لَيْسَ مِثْلَ الْمُؤَلِّفِينَ الْآنَ الَّذِي يُنَمَّقُونَ الْكَلَامَ وَيَتَرَدَّدُونَ عَلَيْهِ

وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ الْجِسْمَ، وَثَبَتَ امْتِنَاعُ الْجِسْمِ كَانَ هَذَا وَحْدَهُ كَافِيًا فِي نَفْيِ ذَلِكَ.

لَكِنَّ نَفْيَ التَّجْسِيمِ يَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَى نَفْيِ هَذَا التَّشْبِيهِ بِأَن يُقَالَ: لَوْ ثَبَتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ جِسْمًا، ثُمَّ يُقَالَ: وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فَيَجِبُ اشْتِرَاكُهَا فِيمَا يَجِبُ، وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ^[١].

لَكِنَّ حَيْثُ يَكُونُ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مُعْتَمِدًا فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ؛ فَيَكُونُ أَصْلُ نَفْيِهِ نَفْيُ الْجِسْمِ، وَهَذَا مَسْلَكَ آخَرُ سَتَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^[٢].

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مُجَرَّدَ الْإِعْتِمَادِ فِي نَفْيِ مَا يُنْفَى عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يُفِيدُ؛ إِذْ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا يَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهِ وَيَفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهِ، بِخِلَافِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى نَفْيِ النِّقْصِ وَالْعَيْبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ -سُبْحَانَهُ- مُقَدَّسٌ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ طَرِيقَةٌ صَحِيحَةٌ^[٣].

مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، بَلْ يَكْتُبُ الْكَلَامَ وَيَنْتَهِي مِنْهُ، وَهُوَ بَخْرٌ يَتَلَاطَمُ تَحْتِ الْمَعَانِي تَسْبِقُ الْكِتَابَةَ.

[١] لَوْ ثَبَتَ كَذَا لَكَانَ جِسْمًا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مُعْتَمِدًا فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ، وَهُوَ يَقُولُ: كُلُّ مَا أَذَى إِلَى ثُبُوتِ الْجِسْمِيَّةِ فَإِنَّهُ مُؤَدِّ إِلَى التَّشْبِيهِ، وَحَيْثُ أَنْكَرَ كَلِمَا رَأَى أَنَّهُ يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ.

[٢] نَقُولُ: مُجَرَّدُ الْإِعْتِمَادِ فِي نَفْيِ مَا يُنْفَى عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يُفِيدُ، وَمَعْنَى

ذَلِكَ لَوْ قُلْتُ: أَنَا أَنْفِي عَنِ اللَّهِ كُلِّ مَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهِ، هَلْ يَكْفِي الْإِعْتِمَادُ عَلَى هَذَا؟

[٣] الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا وَيَشْتَبِهَانِ مِنْ وَجْهِ وَيَخْتَلِفَانِ مِنْ وَجْهِ؛

وَكَذَلِكَ إِذَا أُثْبِتَ لَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَفَى مُمَائِلَةٌ غَيْرُهُ لَهُ فِيهَا، فَإِنَّ هَذَا نَفْيُ
الْمُمَائِلَةِ فِيمَا هُوَ مُسْتَحَقُّ لَهُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَنْ لَا يَشْرَكَهُ شَيْءٌ مِنْ
الْأَشْيَاءِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَكُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا
عَلَى وَجْهِ لَا يُمَائِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَلِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتِهَا: إِبْثَاتُ مَا
وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَنَفْيُ مُمَائِلَتِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ^(١).

الآن مثلاً نجدُ أن الخالقَ سَمِيعٌ وبصيرٌ والإنسانَ سَمِيعٌ وبصيرٌ، ونجدُ أن اللهَ حَيٌّ
والإنسانَ حَيٌّ، فهل يلزُمُ من الاشتباهِ في الاسمِ الاشتراكُ في المسمَّى؟

الجواب: لَا يَلْزَمُ أَيْضًا، لَكِنْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ نَعْتَمِدُ؟ نَعْتَمِدُ عَلَى الْمِشَابَهَةِ الَّتِي تَقْتَضِي
النَّقْصَ وَالْعَيْبَ، أَمَّا الْمِشَابَهَةُ الَّتِي لَا تَقْتَضِيهِ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَكِنْ حَيَاةٌ لَا تُشَبِّهُ
الْمَخْلُوقِينَ، سَمِيعٌ لَكِنْ لَا يَشْبِهُهُ سَمْعَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَكَذَا فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ إِذَا
أُثْبِتَ لَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَفَى مُمَائِلَةَ غَيْرِهِ لَهُ فِيهَا.

[١] سبق لنا أن من الصِّفَاتِ مَا يَكُونُ كَمَا لَا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ وَنَقْصًا فِي حَقِّ
الْحَالِقِ، وَمَا يَكُونُ نَقْصًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ وَكَمَا لَا فِي حَقِّ الْحَالِقِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَالِقَ لَا
يُشَبِّهُ الْمَخْلُوقَ؛ فَالْتَّوَمُّ وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالنِّكَاحُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ كَمَا لَمْ يَلِدْ؛ لِأَنَّ الَّذِي
لَا يَنَامُ مَرِيضٌ فِيهِ عَيْبٌ، وَالَّذِي لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرِبُ وَلَا يَتَزَوَّجُ كَذَلِكَ فِيهِ عَيْبٌ،
وَبالنِّسْبَةِ لِلْحَالِقِ نَقْصٌ.

والتَّكَبُّرُ وَالْعِظَمَةُ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَالِقِ صِفَةٌ كَمَا لَمْ يَلِدْ وَبالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ صِفَةٌ نَقْصٌ،
وَمِنْهُ مَا يَكُونُ كَمَا لَا فِيهِمْ فِي الْمَخْلُوقِ وَالْحَالِقِ، لَكِنْ لِلْحَالِقِ مَا هُوَ أَكْمَلُ مِثْلُ: السَّمْعُ
والبَصَرُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَنَقْصًا فِي الْحَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَلَكِنْ الْحَالِقُ أَشَدُّ

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَابَهُ غَيْرُهُ مِنْ وَجْهِ جَازَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَوَجَبَ لَهُ مَا وَجَبَ لَهُ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مَا امْتَنَعَ عَلَيْهِ^[١].

قِيلَ: هَبْ أَنْ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرِكُ لَا يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ -، وَلَا نَفْيَ مَا يَسْتَحِقُّهُ لَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا^[٢].

تتَرَهَّا عنه، مثل: العَجَزِ والصَّمَمِ والبَكَمِ والمرَضِ وما أَشَبَهُ ذَلِكَ، هذا عَيْبٌ فِي الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ لَكِنْ تَتَرَهَّا الْخَالِقُ عَنْهُ أَعْظَمُ؛ لِأَنَّهُ وَاجِبٌ أَنْ يَتَرَهَّا عَنْهُ بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ.

[١] الشَّيْءُ إِذَا شَابَهُ غَيْرُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ عَلَى هَذَا الْمَشَابِهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْمَشَابِهِ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَيَجِبُ لَهُ مَا يَجِبُ لَهُ، هَذَا إِذَا شَابَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مُمْتَنِعٌ.

وَإِذَا شَابَهُ غَيْرُهُ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِمَّا مُمْكِنٌ أَنْ يَشَابَهُ فِي أَصْلِ وجودِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنْ لَا يَشَابَهُ فِي حَقِيقَتِهَا، يَشَابَهُ فِي أَصْلِ وجودِ الْقُدْرَةِ وَلَكِنْ لَا يَشَابَهُ فِي حَقِيقَتِهَا، وَهَكَذَا.

أَفَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِذَا كَانَ يُشَبَّهُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْخَالِقِ وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْخَالِقِ؟ وَيَجِبُ لَهُ مَا يَجِبُ عَلَى الْخَالِقِ؟ هَذَا السُّؤَالُ الَّذِي أوردَهُ الْمُؤَلِّفُ وَسَيُجِيبُ.

[٢] يقول: قَدَّرْ لَنَا مَثَلًا إِذَا شَابَهُ الْمَخْلُوقُ لَنَا الْخَالِقَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ جَازَ لِلْخَالِقِ مَا يَجُوزُ لِلْمَخْلُوقِ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَوَجَبَ لَهُ مَا يَجِبُ لِلْمَخْلُوقِ، هَبْ أَنْ الْأَمْرَ كَذَلِكَ.

وَكَلِمَةُ «هَبْ أَنْ الْأَمْرَ كَذَلِكَ» تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُسَلَّمٍ، لَكِنْ عَلَى سَبِيلِ التَّنْزِيلِ،

اشترك الخالق والمخلوق في أصل السَّمْع والبَصَر، واختلفا في حقيقتيهما هل نقول: إن هذا الأصل لما تشارك فيه يجب للمخلوق ما يجب للخالق؟

الجواب: لا؛ لأنَّ المخلوق يجوز أن يُعَدَم هذا الأصل، أو يجوز أن يكون غير بصير وغير سميع، والخالق يمتنع عليه ذلك، الخالق يجب أن يكون سميعًا بصيرًا، والمخلوق لا يجب أن يكون سميعًا بصيرًا، إنما سمعه وبصره من باب الجواز الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه.

فتبين الآن أننا إذا قلنا: إنه يُشبه هذا من وجه لا يلزم أن يتفقا في هذا الوجه في الوجوب والجواز والامتناع، وبيننا وجه عدم اللزوم، لكن إذا قدرنا هَب أنه يلزم فما هو الجواب؟

قوله: «وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ لَا يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ -، وَلَا نَفْيَ مَا يَسْتَحِقُّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَمَنِّعًا».

يقول: هَب أنه يجب ويجوز ويمتنع، لكن إذا كان هذا القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يمتنع على الرب؛ سَمْعُ اللهِ، سَمْعُ الْإِنْسَانِ اشتركا في أصل السَّمْع، إذا قلت: إن هذا الاشتراك يلزم منه إثبات ما يمتنع على الرب وهو إمكان عدم السمع مثلا هل هو ممكن بالنسبة للخالق؟

الجواب: لا، فإذا قلت إنهما اشتركا في أصل السَّمْع، ولكن لا يجوز بالنسبة لله أن يُفْرَدَ هذا السَّمْع قلنا: ما المضرة؟ هل في هذا مضرة إذا اشتركا في هذا القدر؟! الحقيقة أنه ليس هناك مضرة من ذلك.

كَمَا إِذَا قِيلَ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَقَدْ سُمِّيَ بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ حَيًّا سَمْعِيًّا عَلِيمًا بَصِيرًا، فَإِذَا قِيلَ: يَلْزَمُ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ كَوْنِهِ مَوْجُودًا حَيًّا عَلِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا، قِيلَ: لَا زِمَ هَذَا الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ لَيْسَ مُتَمَتِّعًا عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي حُدُوثًا وَلَا إِمْكَانًا وَلَا نَقْصًا وَلَا شَيْئًا مِمَّا يُنَافِي صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ^[١].

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ هُوَ مُسَمَّى الْوُجُودِ أَوْ الْمَوْجُودِ، أَوْ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيِّ، أَوْ الْعِلْمِ أَوْ الْعَلِيمِ، أَوْ السَّمْعِ أَوْ الْبَصَرِ، أَوْ السَّمِيعِ أَوْ الْبَصِيرِ، أَوْ الْقُدْرَةِ أَوْ الْقَدِيرِ^[٢].

[١] الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ نَقْصًا مِنْ جَانِبِ الْخَالِقِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالْمُتَمَتِّعِ؛ يَعْنِي: اشْتِرَاكَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي أَصْلِ الصِّفَةِ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ نَقْصًا فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُتَمَتِّعٍ، مِثَالُ ذَلِكَ يَقُولُ: وَذَلِكَ أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ هُوَ مُسَمَّى الْوُجُودِ أَوْ الْمَوْجُودِ، الْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلصِّفَةِ وَالْمَوْجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَوْصُوفِ.

فَمِثْلًا: وَجُودُ الْخَالِقِ وَوُجُودُ الْمَخْلُوقِ يَشْتَرِكَانِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، وَهَلْ هَذَا مُتَمَتِّعٌ إِذَا اشْتَرَكَا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى وَقَلْنَا: إِنْ وَجُودُ الْخَالِقِ يَخْتَصُّ بِهِ وَوُجُودُ الْمَخْلُوقِ يَخْتَصُّ بِهِ؟

لَا يَلْزَمُ ذَلِكَ، كَذَلِكَ أَيْضًا الْمَوْجُودُ، يَشْتَرِكُ الْمَوْجُودُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، كِلَاهُمَا مَوْجُودٌ، وَاشْتِرَاكُهُمَا فِي هَذَا غَيْرُ مُتَمَتِّعٍ وَإِنْ تَشَابَهَا فِي هَذَا الْأَصْلِ بِأَنَّ هَذَا مَوْجُودٌ وَهَذَا مَوْجُودٌ، لَكِنْ وَجُودُ هَذَا يَخْتَصُّهُ وَوُجُودُ هَذَا يَخْتَصُّهُ.

[٢] الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ الصِّفَةَ وَالْمَوْصُوفَ.

وَالْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ مُطْلَقٌ كُلِّيٌّ لَا يَخْتَصُّ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، فَلَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمَا
اشْتِرَاكٌ لَا فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْمُمْكِنِ الْمُحْدَثِ^[١]، وَلَا فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْوَاجِبِ الْقَدِيمِ.
فَإِنَّ مَا يَخْتَصُّ بِهِ أَحَدُهُمَا يَمْتَنِعُ اشْتِرَاكُهُمَا فِيهِ^[٢].

فَإِذَا كَانَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي اشْتَرَكَا فِيهِ صِفَةً كَمَالٍ، كَالْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ
وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا
لَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْخَالِقِ لَمْ يَكُنْ فِي إثْبَاتِ هَذَا مَحْذُورٌ أَصْلًا؛ بَلْ
إثْبَاتُ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْوُجُودِ، فَكُلُّ مَوْجُودَيْنِ لَا بُدَّ بَيْنَهُمَا مِنْ مِثْلِ هَذَا، وَمَنْ
نَفَى هَذَا لَزِمَهُ تَعْطِيلُ وُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ^[٣].

[١] المُمْكِنُ الْمُحْدَثُ يَعْنِي: بِهِ الْمَخْلُوقُ، وَالْوَاجِبُ الْقَدِيمُ، يَعْنِي: بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٢] مَثَلًا الْاشْتِرَاكُ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ، هَلْ يَلْزَمُ الْاشْتِرَاكُ مِنْ وَجْهِ دُونَ
وَجْهِ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ مُشَابِهًا لِلْمَخْلُوقِ فِي الْوَجْهِ الَّذِي يَشْتَرِكَانِ فِيهِ؟

الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: لَا يَلْزَمُ، وَمِثَالُ ذَلِكَ كَلِمَةُ الْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَإِنْ هَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُ لِلْخَالِقِ وَصِفَاتُ لِلْمَخْلُوقِ، تَشْتَرِكُ هَذِهِ
فِي الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ، الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ لَا يَخْتَصُّ بِهِ الْخَالِقُ وَلَا الْمَخْلُوقُ وَإِنَّمَا هُوَ مُشْتَرَكٌ،
فَالْحَيَاةُ الَّتِي وُجِدَ أَصْلُهَا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا لَمْ نَفْهَمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ، لَكِنْ هَلْ يَلْزَمُ مِنْ
اشْتِرَاكِهِمَا فِي هَذَا الْأَصْلِ أَنْ يَتَشَابَهَا؟ لَا يَلْزَمُ؛ لِأَنَّ حَيَاةَ هَذَا تَخْصُّهُ وَحَيَاةَ هَذَا تَخْصُّهُ،
وَلَا يَجُوزُ لِحَيَاةِ الْمَخْلُوقِ مَا يَجُوزُ لِحَيَاةِ اللَّهِ أَوْ يَجِبُ أَوْ يَمْتَنِعُ.

[٣] إِذَا كَانَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي اشْتَرَكَا فِيهِ صِفَةً كَمَالٍ مِثْلَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ
وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّ هَذِهِ صِفَاتُ كَمَالٍ، اشْتِرَاكُ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ

وَلِهَذَا لَمَّا أَطْلَعَ الْأَيْمَّةُ عَلَى أَنَّ هَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ سَمُّوهُمْ مُعْطَلَةً،
وَكَانَ جَهْمٌ يُنْكِرُ أَنَّ يُسَمَّى اللَّهُ شَيْئًا، وَرُبَّمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ،
فَإِذَا نَفَى الْقَدْرَ الْمَشْتَرَكِ مُطْلَقًا لَزِمَ التَّعْطِيلُ الْعَامُّ.

وَالْمَعَانِي الَّتِي يُوصَفُ بِهَا الرَّبُّ تَعَالَى كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ بَلِ الْوُجُودِ
وَالثُّبُوتِ وَالْحَقِيقَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مَحْبُوبٌ لَوَازِمُهَا، فَإِنَّ ثُبُوتَ الْمَلْزُومِ يَقْتَضِي ثُبُوتَ
اللَّازِمِ، وَخَصَائِصُ الْمَخْلُوقِ الَّتِي يَجِبُ تَنْزِيهِ الرَّبِّ عَنْهَا لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ
أَصْلًا^١.

فيها في القدر المشترك الذي هو أصل الصفة هل هذا تشبيه؟

الجواب: لا، لماذا ليس بتشبيه؟ لأن لكل واحدٍ منهما ما يخصه من هذه الصفة؛
ولأننا لو لم نقل بوجود أصل الاشتراك في هذه الصفة لزم أن نعطل وجودها؛ إذا
قلنا مثلاً: ليس لله حياة؛ لأنه لله حياة وللإنسان حياة معناه تشابهها، إذا نفيت الحياة لله
وقعت في التعطيل.

إذن: لا بُدَّ من إثبات الحياة، وكون المخلوق له حياة والخالق له حياة لا يلزم
من ذلك التشبيه، مثل إذا قلنا: للإنسان جسم وللجبل جسم، لا يكون ذلك تشبيهاً.
فإثبات القدر المشترك بين حياة المخلوق وحياة الخالق، وسمع المخلوق وسمع
الخالق، إلى آخره، هذا من لوازم الوجود، إذ لو نفيت نفيت وجود الصفة، لو نفيت
الحي وقلت: لا يمكن أن نقول: إن الله هو الحي لأن المخلوق يسمى الحي، فبذلك
تكون قد نفيت وجود الحياة.

[١] تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي مَعَ اخْتِلَافِ الْعِبَارَةِ؛ الْمَعَانِي الَّتِي يُوصَفُ بِهَا الرَّبُّ كَالْحَيَاةِ

بَلْ تِلْكَ مِنْ لَوَازِمِ مَا يَخْتَصُّ بِالْمَخْلُوقِ مِنْ وُجُودٍ وَحَيَاةٍ وَعِلْمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ،
وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ- مُنْزَعٌ عَنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ وَمَلْزُومَاتِ خَصَائِصِهِمْ^[١].

وَهَذَا الْمَوْضِعُ مَنْ فَهِمَهُ فَهَمَّا جَيِّدًا وَتَدَبَّرَهُ زَالَتْ عَنْهُ عَامَّةُ الشُّبُهَاتِ،
وَانْكَشَفَ لَهُ غَلْطُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَقَدْ بَسِطَ هَذَا فِي مَوَاضِعَ
كَثِيرَةٍ وَبَيَّنَّ فِيهَا أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ الْكُلِّيَّ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ إِلَّا مُعَيَّنًا مُقَيَّدًا^[٢].

تَسْتَلْزِمُ وجودَ هذه الأشياءِ وإلا لكانَ تَعْطِيلًا مُحْضًا، إِنَّمَا خَصَائِصُ الْمَخْلُوقِ الَّتِي يَجِبُ
تَنْزِيهِهُ الرَّبُّ عَنْهَا لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ أَصْلًا، فَإِذَا قِيلَ مَثَلًا: حَيَاةُ الْمَخْلُوقِ مَسْبُوقَةٌ
بِعَدَمٍ وَمَلْحُوقَةٌ بِمَوْتٍ، هَلْ هَذِهِ الْخَصَائِصُ فِي حَيَاةِ الْمَخْلُوقِ تَلْحَقُ حَيَاةَ الْخَالِقِ؟

الْجَوَابُ: لَا؛ لِأَنَّ حَيَاةَ الْخَالِقِ تُخْصُصُهُنَّ وَحَيَاةُ الْمَخْلُوقِ تُخْصُّهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، فَسَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ شَيْئًا.

أَيُّ شَيْءٍ، هَذَا اسْتِفْهَامٌ عَنِ الْأَشْيَاءِ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ؟ إِذْنٌ فَهُوَ شَيْءٌ، وَإِلَّا لَمَا صَحَّ
أَنْ يُخْبَرَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿أَيْ شَيْءٍ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ﴾ أَيُّ: أَكْبَرُ شَهَادَةً وَاللَّهُ أَكْبَرُ شَهَادَةً، ثُمَّ قَالَ:
﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يَعْنِي: هُوَ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ لَمْ يَصَحَّ أَنْ
يَكُونَ جَوَابُهُ لِقَوْلِهِ: ﴿أَيْ شَيْءٍ﴾ أَكْبَرُ شَهَادَةً؟

[١] هَذِهِ مَوَاضِعُ جُزْئِيَّةٌ يَذْكُرُهَا الْمُؤَلِّفُ اسْتِطْرَادًا، وَلَيْسَتْ هِيَ الْمَقْصُودَ، لَكِنْ
الْمَقْصُودُ الْقَاعِدَةُ الْأَسَاسِيَّةُ وَالَّتِي طَالَ الْكَلَامُ فِيهَا؛ وَهِيَ أَنَّا نَقُولُ: الْاعْتِمَادُ عَلَى مَجْرَدِ
الْإِتْبَاتِ بَدُونِ تَشْبِيهِ لَا يَصِحُّ، وَالْاعْتِمَادُ عَلَى مَجْرَدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ أَيْضًا غَيْرُ صَحِيحٍ.

[٢] هَذَا تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ؛ أَنَّ الْمُشْتَرَكَ الْكُلِّيَّ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ
فِي الذَّهْنِ مَثَلًا: نَحْنُ الْآنَ أَحْيَاءُ، يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّ هُنَاكَ حَيَاةً شَامِلَةً تَجْمَعُنَا جَمِيعًا،